المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

هدايات فواتح السور وأثرها في تعظيم الله تعالى

اسم الباحث

د/ مايو إدريس ابن بحر

د. مايو إدريس بن بحر

هدايات فواتح السور

وأثرها في تعظيم الله تعالى

الفصل الأول: تعريف فواتح السور وأنواعها وترتيبها وعدد السور التي يفتتح بها كل نوع

المبحث الأول: تعريف الفواتح والسور في اللغة والاصطلاح

تمهيد

جاءت افتتاحيات سور القرآن علىٰ ألوانٍ شتّىٰ من أساليب العربية والبيان، وكلّ لون قد حوىٰ من محسنات بلاغية تعبيرية بديعة ما يدهش الذوّاقة من أهل البيان، وذلك لأنّ من أساليب البلاغة حسن الابتداء، "وهو أوّل ما يقرع السمع، فإن كان محرّرًا، لافتًا، أقبل السامع علىٰ الكلام ووعاه، وأخذ به حتىٰ النهاية. وإلّا أعرض عنه، وأهمله"[1]. لذا. كان التأنق في أوّل الكلام، ساحرًا أخّاذًا، سارقًا للأسماع، آخذًا بمجامع الألباب، فهو المفتاح الماضي إلىٰ كيان قارئيه وسامعيه. وقد أبدع القرآن في تحرير البداية لسوره المحكمة المعجزة، حتىٰ لا يجد القارئ أو السامع سبيلًا للغيبة عنه، أو الصدود، إلّا من جحد، وعاند ورام الاستكبار والتعالي[2].

والابتداء بالكلام فن من الفنون العبقرية، المعبّرة عن أدب المتكلّم، ومدىٰ ثقافته، وحسن ذوقه، والبدء ينتظم نوعين، كلّ منهما يتميز عن الآخر، إلا أنّ التمايز خفيّ يضطر كاشفه أن يتمتع بشفافية بلاغية، قلّ مثيلها. فالنوع الأول: حسن الابتداء. وهو كون ابتداء الكلام مناسبًا للمقصود[3]، وينبغي أن يُؤتَىٰ فيه بأعذب لفظ، وأجزله، وأرقه، وأسلسه، وأحسنه نظمًا، وسبكًا، وأصحه معنىٰ.

والنوع الثاني: براعة الاستهلال وهو: «الِابْتِدَاء بِكَلَام مُشْتَمل علىٰ إِشَارَة إِلَىٰ مَا سيق لأَجله، من: "بَرَعَ" إِذا فاق أَصْحَابه فِي الْعلم وَغَيره، فمعناها اللّغَوِيّ هُوَ السِّيَاقَة فِي طلب الْهلَال ورؤيته. والمناسبة بَين الْمَعْنيين أظهر من أَن يخفىٰ»[4]. وتعريف ثاني لبراعة الاستدلال هي: «أن يشتمل أول الكلام علىٰ ما يناسب الحال المُتَكَلَّم فيه، ويشير إلىٰ ما سِيقَ الكلام

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي (٢/ ٣٤٠)

(٢) ينظر: البديع في البديع، ابن المعتز (ص: ٤٢)، زهر الآداب وثمر الألباب، القيرواني (١/ ١٤١)، خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (١/ ٢٠).

(٣) التعريفات، الجرجاني (ص: ٤٥).

(٤) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، نكري (١/ ١٦٥).

لأجله، وإنما سُمِّيَ به لأنّ الكلام الذي فيه هذه الصناعة له تفوّق علىٰ غيره. والاستهلال في اللغة أول صوت المولود حين الولادة، وبذلك يستدل علىٰ حياته، فسمّي به الكلام الذي يدلُّ أوَّلُه علىٰ المقصود»[١]. وكأنَّ في تلك التسمية أيضًا إشارة إلىٰ حياة الكلام، ويفهم من ذلك أنَّ الكلام الخالي من براعة الاستهلال بمثابة الكلام الميت الذي لا روح فيه.

تعريف الفواتح في اللغة:

الفواتح جمع فاتحة، ومادتها: (ف ت ح) والفَتْحُ: نقيض الإغلاق، وافتِتاح دارِ الحَرب. وأن تفتَحَ علىٰ مَن يَسْتَقْرِئُكَ، أنْ تحكُمَ بين قَوْمٍ يَخْتَصِمون إليكَ، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ٨٩]. والفَتْح: النُّصْرةُ، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]. واستَفْتَحْتُ اللهَ علىٰ فُلانٍ أيْ: سَأَلْتُه النَّصْرَ عليه ونحو ذلك. والمَفْتَح: الخِزانةُ، ولكُلِّ شَيْءٍ مَفْتَح، ومَفْتِح بالفَتْح والكَسْر، من صُنُوف الأشياء. والفَتّاح: الحاكم.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾[القصص: ٧٦]، يعني: الكُنُوز وصنُوُف أمواله، فأمّا المَفاتيح فجَمْع المِفتاح الذي يُفتَحُ به المِغلاقُ. والفُتْحة: تَفَتُّح الإنسان بما عنده من أموال أو أدب يَتطاوَل به، يقال: ما هذه الفُتْحة التي أظهَرْتَها، وتَفَتَّحْتَ بها علينا. وفَواتِح القُرآن: أوائل السُّوَر، وبابٌ فُتُحٌ أي: واسع. وفاتحة الشيء: أوله[٢]. وفواتح الشَّهيَّة: طعام يفتح الشهيَّة يقدَّم قبل الطبق الرئيسيّ[٣].

تعريف السورة:

السورة قِطْعَة من الْقُرْآن مُعينَة بمبدأ وَنِهَايَة لَا يتغيران، مسماةٌ باسم مَخْصُوص، تشْتَمل علىٰ ثَلَاث آيَات فَأكْثر[٤]، ومناسبة هَذِه التَّسْمِيَة للقطعة من الْقُرْآن أَنَّهَا مَأْخُوذَة من السُّور، وَهُوَ الْجِدَار الْمُحِيط بِالْمَدِينَةِ. أو من السُّؤر، وَهُوَ الْبَقِيَّة مِمَّا يشرب الشَّارِب، وَهَذِه التَّسْمِيَة من مبتكرات الْقُرْآن. والسُّورة: الشَّرَفُ والفَضْلُ والرِّفْعَةُ، وسُمِّيت به سُورة القرآن؛ لإِجْلالِهِ ورِفْعَتِه. فَكل سُورَة من الْقُرْآن بِمَنْزِلَة دَرَجَة رفيعة ومنزلٍ عَالٍ يرْتَفع الْقَارئ مِنْهَا إِلَىٰ دَرَجَة أُخْرَىٰ ومنزلٍ آخر إِلَىٰ أَن يستكمل الْقُرْآن[٥].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (١/ ٣١٩).
(٢) العين، الفراهيدي (٣/ ١٩٤).
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، مختار (٣/ ١٦٦٥).
(٤) مصابيح الدرر، أبو العلاء (ص: ٢٤-٢٥).
(٥) ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٨٦)، الكليات (ص: ٤٩٣)، تاج العروس (١٢/ ١٠٢).

فواتح السور في الاصطلاح:

هي أنواع الكلام الذي بدأ الله تعالىٰ به سور القرآن، وهي عشرة[١].

والعلاقة بين المعنىٰ اللغوي والاصطلاحي لفواتح سور القرآن، أنَّ فواتح السور هي بمثابة المفاتيح للقلوب عند تلاوة أو سماع القرآن، وفي تفس الوقت هي مفتاحٌ لخزائن المعاني الثرة والبليغة المودَعَة في سور القرآن، فتفتح شهية القلب لمزيد من التلاوة والسماع، وبذلك تكون كل معاني مفردة "الفواتح" في اللغة قد تحقَّقت في فواتح السور، كما سيتضح من خلال هدايات الفواتح -إن شاء الله-.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ١٦٤).

المبحث الثاني: أنواع الفواتح وترتيبها وعدد سور كل نوع

افتتح الله تعالىٰ سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها، وهي بحسب ورودها في ترتيب المصحف علىٰ النحو التالي:

الأول: الثناء على الله تعالى

والثناء قسمان: إثباتٌ لصفات المدح، ونفيٌ وتنزيه من صفات النقص.

- فالإثبات له صيغتان؛ صيغة التحميد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، في خمس سور: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر. وصيغة تبارك: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي﴾، في سورتين: الفرقان، والملك.
- التنزيه: التّسبيح، في سبع سور؛ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ﴾ في الإسراء، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، في الحديد، الحشر، والصف. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ في الجمعة والتغابن، ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، في سورة الأعلىٰ.

الثاني: حروف التهجي

تسمىٰ حروف التهجي أو الحروف المقطعة، وقد استُفتحت بها تسعٌ وعشرون سورة، وجاء تركيب الحروف في الفواتح علىٰ خمس رتب علىٰ النحو التالي:

١- حرف واحد، وذلك في سورٍ ثلاث: ﴿صٓۚ لخ، ﴿قٓۚ لخ، ﴿نٓۚ﴾.

٢- ومنها مؤلّف من حرفين، وذلك في عشر سور، موزَّعة كالتالي:

- سبعٌ منها متماثلة تُسمّىٰ (الحواميم)، لابتدائها بحرفي: ﴿حمٓ﴾، وهي: غافر، فصلت، الشورىٰ، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف.
- تتمة العشر: هي سور: ﴿طه﴾، والنّمل بُدئت بـ: ﴿طسٓ﴾، وسورة ﴿يسٓ﴾.

٣- ومنها مركبة من ثلاثة أحرف، وتلك فواتح ثلاث عشرة سورة موزعة كما يلي:

- ست منها بدئت بـ: ﴿الٓمٓ﴾، هي سور: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، والسجدة.
- خمس منها بـ: ﴿الٓر﴾، هي: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، والحجر.
- اثنتان منها بدئت بـ: ﴿طسٓمٓ﴾، وهما سورتا الشعراء والقصص.

٤- منها مركب من أربعة أحرف: ﴿الٓمٓصٓ﴾ فاتحة الأعراف، ﴿الٓمٓرٰ﴾ فاتحة الرعد.
٥- فاتحة مركبة من خمسة حروف: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وهي فاتحة سورة مريم.

الثالث: النداء

والنداء استفتحت به عشر سور:

- خمس بنداء الرسول ﷺ، وهي: الأحزاب، الطلاق والتحريم بلفظ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، والمزمل بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، والمدثر بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.
- خمس بنداء الأُمّة: النساء والحج بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، والمائدة والحجرات والممتحنة بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

الرابع: الجُمَل الخبرية

في ثلاثٍ وعشرين سورة:

١- الأنفال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾.
٢- التوبة: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾.
٣- النحل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾.
٤- الأنبياء: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾.
٥- المؤمنون: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾.
٦- النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾.
٧- الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾.
٨- محمد: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١﴾.
٩- الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾.
١٠- القمر: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾.
١١- الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾.
١٢- المجادلة: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾.
١٣- الحاقة: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١﴾.
١٤- المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾.
١٥- نوح: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾.

١٦- القيامة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾.

١٧- عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾.

١٨- والبلد: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾.

١٩- القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾.

٢٠- البيّنة: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

٢١- القارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١﴾.

٢٢- التكاثر: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾.

٢٣- الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾.

الخامس: القسم

في خمس عشرة سورة أقسم فيها بـ:

١- ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾.

٢- ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾.

٣- ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾.

٤- ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾.

٥- ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾.

٦- ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾.

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾.

٨- ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾.

٩- ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾.

١٠- ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾.

١١- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾.

١٢- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾.

١٣- ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾.

١٤- ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١﴾.

١٥- ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾.

السادس: الشرط

في سبعِ سور:

١ - ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾.

٢ - ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

٣- ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.

٤ - ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾.

٥ - ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾.

٦ - ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾.

٧- ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾.

السابع: الأمر

في ستِّ سور، كالآتي:

- خمس منها تبدأ بـ: ﴿قُلْ﴾، هي: الجن، الكافرون، الإخلاص، المعوذتين. وواحدة بـ: ﴿ٱقْرَأْ﴾، وهي: العلق.

الثامن: الاستفهام

في ستِّ سور، وهي:

١ - ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾.

٢ - ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

٣- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

٤ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

٥ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾.

٦ - ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾.

التاسع: الدعاء

في ثلاث سور: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، في المطففين والماعون، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ في المسد.

العاشرة التعليل

في سورة واحدة فقط، وهي: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾[1].

هكذا جمع أبو شامة المقدسيُّ فواتح السُّور، ثمَّ قال: «وما ذكرناه في الدُّعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثَّناء كلّه خبر إلَّا ﴿سَبِّحِ﴾، فإنَّه في قسم الأمر. و﴿سُبْحَٰنَ﴾ يحتمل الأمر والدُّعاء والخبر». ثم نظم ذلك في بيتين، فقال:

أثنىٰ علىٰ نفسه سبحانه بثُبوتِ الحمد والسلب لمَّا استفتح السُّوَرا
والأمر شرط النِّدا والتعليل والقَسَم الدُّعا حروف التهجِّي استفهم الخَبَرا

وجميع هذه الفواتح واردة علىٰ أحسن الوجوه، وأكملها من الفصاحة والبلاغة[2].

(١) ينظر: البرهان، الزركشي (١/ ١٦٤)، الإتقان، السيوطي (٣/ ٣٦٣).
وقد أفرد ابن أبىٰ الإصبع فواتح السور القرآنية في كتاب سماه: (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، معظم من تكلّم عن مبحث الفواتح أخذ منه. كما فعل الزَّركشيُّ في (البرهان)، والسُّيوطيُّ في (الإتقان)، وزاد عليه من غيره كما قال.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ٣٤٤)

المبحث الأول: الهدايات المستنبطة من الفواتح "الثناء، الحروف المقطعة، النداء"

كما هو مقرر ومعلوم أنَّ القرآن العظيم قد بلغ القمة التي لا تُرتَقىٰ، وأتىٰ من فنون البلاغة وروعة الفصاحة والبيان بحيث لا يضاهىٰ ولا يُبارىٰ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١]، كلُّ حرفٍ فيه له مدلوله ومعناه، مقاصده وهداياته، "فما مِنْ حرف فيه تأوَّلوه زائدًا أو قدَّروه محذوفًا أو فسرُوه بحرف آخر، إلا ويتحدىٰ بسرِّه البياني كل محاولة لتأويله علىٰ غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز". وإن كانت تلك هي حقيقة الحرف في القرآن؛ فلا بد أن يكون لفواتح سوره نفس نعوت الجمال والجلال، والدقة والحكمة والإعجاز، فالفواتح منها الحرف ومنها الجملة، وكلها تساوت أو تسابقت إلىٰ تحقيق مقاصد القرآن العظيم بهداياتها، سواء من حيث نوعها أو ترتيبها أو عددها.

في هذا الفصل أستفرغُ وسعي، واستنزف طاقتي لجمع كلِّ أو جلِّ ما كُتب من هدايات الفواتح المتناثرة في بطون الكتب، مع دقتها وقلتها -والتي أحتاج معها لمنظارٍ ومنقاش-، ثم أستجلب توفيق ربي لاستنباط أكبر قدر يجود به جهدي العقلي، وقدرتي البشرية، أجمع بين الترتيب والتَّنوع وعدد سور كل نوع، إيجازًا واختصارًا ليتناسب الكم مع حجم البحث، إلا أنَّي سأنتقي نتفًا فقط من الفاتحة الرَّابعة إلىٰ العاشرة:

١- أوّل فاتحة بحسب ترتيب المصحف هي الثناء عليه سبحانه، والصيغة المختارة هي إثبات الكمال المطلق له بمفردة "الحمد"، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ الحمد هو ما يجب أن يبدأ به العبد مع ربه في التمجيد والثناء.

٢- ودلَّت علىٰ أنَّ إثبات الكمال لله المحمود عليه مقدم علىٰ تنزيهه عن النقص.

٣- ودلّت صيغة الحمد في الفاتحة بـ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ الفاتحة: أنَّ الله تعالىٰ محمودًا في ذاته، استحقَّ الحمد قبل إنزال النعم والخيرات، وقبل رفع النغم والمكروهات.

جاء في تأويلات أهل السُّنَّة:

قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) احتمل: أن يكون جلَّ ثناؤُه حمدَ نفسه؛ ليُعلِم الخلقَ استحقاقَه الحمد بذاته؛ فيَحمَدوه. فَإِنْ قِيلَ: كيف يجوز أن يحمدَ نفسه، ومثلهُ في الخلق غير محمود؟!

قيل له: لوجهين:

أحدهما: أنه استحق الحمدَ بذاته، لا بأَحدٍ؛ ليكون في ذلك تعريفُ الخلقِ لما يُزلفُهم لديه بما أَثْنَىٰ علىٰ نفسه؛ ليُثْنُوا عليه. وغيرُه إنما يكون ذلك له به سبحانه.

الثاني: أَن الله تعالىٰ حقيق بذلك؛ إذ لا عيب يمسُّهُ، ولا آفة تحل به فيدخل نقصان في ذلك. ولا هو خاصّ بشيء. والعبدُ لا يخلو عن عيوب تمسُّه، وآفات تحل به، ويُمدح بالائتمار، ويذم بتركه. وفي ذلك تمكن النقصان، وحق لمثله الفزع إلىٰ الله، والتضرع إليه؛ ليتغمدهُ برحمته، ويتجاوز عن صنيعه[(١)].

٤- فيها إشارة إلىٰ استحباب حمد الله تعالىٰ في مستهل الخطب والكلام.

٥- يفهم منها أنَّ حمد ذات الله تعالىٰ أفضل ما يستهل به السائل مسألته، بالنظر إلىٰ أنَّ سورة الفاتحة هي استهلال للقرآن وفيها الدعاء الوحيد الواجب علىٰ العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

٦- وتشير إلىٰ أنَّ حمد الله علىٰ الموجود يجب أن يسبق سؤال المفقود، لسبوق الحمد لآية الطلب.

٧- يُفْهم منها أنَّ الحمد لله مقدَّم علىٰ جميع أنواع الثناء الأخرىٰ، ويعضد هذا المعنىٰ ما رُوِيَ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاعِرًا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي مَدَحْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِمَحَامِدَ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ**»[(٢)].

٨- يفهم منها أهمية الحمد علىٰ كل حال، وفي أي زمان ومكان، لاستحباب قراءة سورة الفاتحة، لما ثبت من فضلها وقوة أثر الاستشفاء بها من أمراض القلب والبدن[(٣)].

٩- فيها أنَّ اسم تعالىٰ "الله" هو العلم الدال علىٰ الذات وترجع إليه كل الأوصاف والصفات.

---

(١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (١/ ٣٥٧)

(٢) أخرجه أحمد في المسند بمعناه مختصرًا عن الأسود بن سريع، قال: قلت: يا رسول الله، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي؟ قال: «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يحبُّ الحَمْدَ**». (٣/ ٤٣٥، حديث رقم: ١٥٦٥٠) وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات أثبات. وأخرجه البخاري في صحيح الأدب المفرد (ص:٣٢٠) في قصة مطولة، من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود بن سريع. ومعناه ثابت صحيح، من حديث ابن مسعود، في المسند (٤١٥٣): «**لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه**».

(٣) ينظر: الطب النبوي، ابن القيم (ص: ١٣٢).

١٠- فيها أنَّ الله يُحْمد علىٰ ألوهيته وربوبيته للعباد، لتخصيص وصف الرب بالبدلية دون غيره.

١١- تشير إلىٰ أنَّ الله محمود في السراء والضراء، لأنَّ الحمد مرتبط بذاته، ويعضد هذا المعنىٰ ما روت عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ، قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**»[(١)].

١٢- الحمد في الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ارتبط بأحد أفعال الله تعالىٰ، وهو خلقه السماوات والأرض وجعله الظلمات والنور.

١٣- ويفهم منها أنَّ تلك الأفعال من أول ما يوجب حمده بعد حمد ذاته جل جلاله[(٢)].

١٤- في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ تسميتهما وتضمين بقية المخلوقات فيه الإشارة إلىٰ عظم خلقهما وأنهما أوضح ما يدلُّ عليه كما في قوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. ففي الاقتصار عليهما بالتصريح ما يدلُّ علىٰ أنَّ: في خلقهما دليل وحدانيته، وشهادة ربوبيته[(٣)].

١٥- وبذلك ففيها الإشارة إلىٰ أنَّ أول ما يجب أن يدعو به الداعي من الرسل واتباعهم هو التوحيد.

١٦- تشير إلىٰ الرضا بملك الله تعالىٰ للعبد وخلقه قبل ذلك وتدبيره بعد ذلك.

١٧- الحمد في الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاًۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]. فيه الرد علىٰ المعتزلة والأشاعرة؛ لأن القرآن منزل علىٰ النبي ﷺ من عند الله.

١٨- فيها أنَّ الله تعالىٰ يحمد علىٰ صفة العلو الواضحة من إنزاله الكتاب، فالنزول لا يكون إلا من علٍ.

١٩- فيها أنَّ الله يحمد علىٰ إنزال الكتب لهداية الناس، ويحمد علىٰ إنزال القرآن العظيم خاصةً، وفي ذلك تنويه بالقرآن وإشارة إلىٰ أنه من أعظم نعم الله علىٰ العباد.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح (١/ ٦٧٧، حديث رقم: ١٨٤٠)

(٢) جاء في تفسيرها: حَمَدَ اللهُ نَفسَهُ تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ، أي: احمِدُوا الله الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ، خَصَّهُمَا بالذِّكرِ لأنَّهمَا أعظَمُ المخلوقاتِ فيمَا يَرىٰ العِبَادُ وفيهِمَا العِبَرُ والمنافِعُ للعِبادِ، وقال الحسن: وجعلَ الظُّلماتِ والنُّورَ، يَعنِي: الكُفرَ والإيمانَ، وَقِيلَ: أَرَادَ بالظلمات الجهل والنور العِلمَ. انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٠٨).

(٣) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٢/ ٥٦١).

٢٠- فيها أنَّ الله يحمد بإرسال محمد ﷺ خاصةً لارتباط رسالته بالقرآن.

٢١- فيها أنه تعالىٰ أثنىٰ علىٰ نفسه بإنعامه علىٰ خلقه، وخصَّ رسوله ﷺ بالذكر؛ لأنَّ إنزال الكتاب القرآن عليه كان نعمةً عليه علىٰ الخصوصِ وعلىٰ سائر الناسِ علىٰ العمومِ[1].

٢٢- فيها مقام العبودية التشريفية التي ارتبط بها مفعول من استحق الحمد. فالْعُبُودِيَّةُ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ. فَالْعُبُودِيَّةُ الْعَامَّةُ عُبُودِيَّةُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهِمْ لِلَّهِ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَهَذِهِ عُبُودِيَّةُ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[مريم]، فَهَذَا يَدْخُلُ فِيهِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ. وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَعُبُودِيَّةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَاتِّبَاعِ الْأَوَامِرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزُّخرُف]، وَلَا يَجِيءُ فِي الْقُرْآنِ إِضَافَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ مُطْلَقًا إِلَّا لِهَؤُلَاءِ[2].

٢٣- فيها إشارة إلىٰ أن مقام القرآن بكونه كلام الله تعالىٰ أعلىٰ من اعتباره أحد مخلوقات الله تعالىٰ.

٢٤- فيها أن الله تعالىٰ محمود علىٰ إنزال الكتاب العظيم؛ لأنه أعظم نعمة أنعم بها علىٰ الخلق، حيث أخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور التي ذُكِرَت في أول الأنعام.

٢٥- تشير إلىٰ أنَّ الفواتح من النوع الواحد مرتبة بدقة متناهية، بحيث لا يصلح تغيير ترتيب السور.

٢٦- وفيه دليل ضمني علىٰ أنَّ ترتيب السور توقيفي.

٢٧- فيها أنَّ خلق الهدىٰ والضلال وما ينتج عنهما من أفعال العباد؛ سابق لإرسال الرسل وإنزال الكتب لترتيب سورة الكهف بعد الأنعام.

٢٨- فيها أن الكتاب قيم لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل هو واضح جلي يهدي إلىٰ الصراط المستقيم.

٢٩- فيها أنَّ الحمد مرتبط بانزال الكتاب، وباستقامة الكتاب.

٣٠- ويفهم منها أنَّ الله تعالىٰ يُحْمد علىٰ ذاته وكمال صفاته لأنَّ القرآن كلامه سبحانه.

٣١- يُفْهم منها أن نعم الله تعالىٰ التي يُحمد عليها تتفاضل في القدر، وفي أثرها علىٰ العبد.

٣٢- فيها أنَّ أول نعمة مباشرة علىٰ الخلق تستحق الحمد هي نعمة الهداية بالقرآن العظيم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، النعماني (١٢/ ٤١٥)

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ١٢٥)

٣٣- دلَّ الحمد في سبأ وفاطر إلىٰ عظمة الصفات أو المخلوقات التي ارتبط بها حمد الله تعالىٰ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ]، وفي فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٣٤- كما أنَّ خاتمة فاطر قد تشير إلىٰ أنه من العام الذي أضيف إلىٰ الخاص لاختصاص الأول بفضل مزية علىٰ العام، فلا محالة أنَّ إنزال الكتاب من الأشياء التي يقدر عليها الله تعالىٰ.

٣٥- وفي حمد الفاتحة بضميمة آية سبأ أنَّ الحمد لله أولًا وآخرًا، سابقًا ولاحقًا لأفعاله سبحانه.

٣٦- وفيهما دلالة ضمنية علىٰ أنَّ الله هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء.

٣٧- فيها أنَّ امتلاك العبد للمال إن كان من وجه حق فهو وصف مدح وكمال، يؤيده ما روي عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»[(١)].

٣٨- دلّت فاتحة الفرقان: أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ نفسه بالصيغتين: (الحمد، وتبارك) علىٰ نعمة إنزال القرآن العظيم دون سائر الأفعال التي ارتبطت بحمده سبحانه.

٣٩- وفي ذلك إشارة إلىٰ أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وليس مخلوقًا ولذلك اختص دونها بتلك المزية.

٤٠- وقد يكون فيها إيماء إلىٰ تنزيه الله تعالىٰ من نفي صفة الكلام في حقه، وتنزيه للقرآن عن القول بأنه مخلوق، فالقول بخلق القرآن تعطيل لصفة التكلم، وحطٌّ من قدر القرآن من أنه كلام الله إلىٰ أنه أحد مخلوقاته.

٤١- وفي ذلك دليلٌ إشاريٌ لمذهب أهل السنة والجماعة، وردٌّ علىٰ المعتزلة.

٤٢- فيها إشارة بضميمة قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] إلىٰ عظمة وأهمية القرآن. وأنَّ "وظيفته في هداية العالم أسمىٰ وظيفة في الوجود ومهمته في إنقاذ الإنسانية أعلىٰ مهمة في الحياة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: المال الصالح للرجل الصالح (١/ ١١٢، حديث رقم: ٢٩٩)، تعليق الألباني: صحيح.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني (٢/ ٣٥٤).

٤٣- ويلمح فيه كمال الكتاب وعصمته وأنه أعظم ما يدلُّ علىٰ عظمة الله وأوصافه، وقد يؤكد ذلك أنَّ الله تعالىٰ وصف القرآن في ما وصفه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل].

جاء في تفسيرها:

وقوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيْ: أيِّ حكيمٍ وأيِّ عليمٍ وفي تفخيمهما تفخيمٌ لشأن القرآن وتنصيصٌ علىٰ علوِّ طبقته ﷺ في معرفتِه والإحاطةِ بما فيه منْ الجلائلِ والدقائقِ فإنَّ من تلقَّىٰ العلومَ والحكمَ من مثل ذلك الحكيمِ العليمِ يكون عَلَمًا في رصانةِ العلمِ والحكمةِ[1]، فانظر إلىٰ متانة العلاقة تلك العلاقة!!

٤٤- مناصفة عدد سور الثناء علىٰ الله تعالىٰ بين ثبوت المدح والسلب فيه أنَّ التنزيه كمال.

٤٥- وفيه أنَّ صفات الكمال واجبة في حق الله تعالىٰ كما أنَّ صفات النقص مستحيلة في حقه سبحانه.

٤٦- فيها أنَّ مقام أوصاف الله تعالىٰ فيه الإثبات مقدَّم علىٰ النفي، بعكس مقام عبودية العبد المقدَّم فيها التخلية علىٰ التحلية ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

٤٧- وربما يشير ذلك إلىٰ أنَّ الله هو الأول ليس قبله شيء فكان محمودًا بوجوده، والتنزيه أحد ما يتطلبه وصفه من غيره بالنقص فكان لاحقًا، لعدمية غيره في الماضي.

٤٨- وفيها تأكيد علىٰ أنَّ أفعال الله تعالىٰ ناتجة عن أوصافه، أي ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بعد رزقهم استفاد اسم الرازق، أما في العبد فإن وصفه هو الناتج عن فعله، فلا يكون العبد كريمًا إلا بعد إنفاقه وجوده، ولا يوصف بالصانع إلا بعد صنعه للأشياء، وهكذا.

٤٩- فيها أنَّ الله لا يزال منزَّهٌ من خلقه في الماضي والحاضر، وسيظل مسبَّحًا في المستقبل.

قال الكرماني في أسرار تكرار القرآن: «هَذِه الْكَلِمَة اسْتَأْثر الله بهَا فَبَدَأَ بِالْمَصْدَرِ فِي بني إِسْرَائِيل الْإِسْرَاء لِأَنَّهُ الأَصْل ثمَّ بالماضي لِأَنَّهُ أسبق الزمانين ثمَّ بالمستقبل ثمَّ بِالْأَمر فِي سُورَة الْأَعْلَىٰ استيعابا لهَذِهِ الْكَلِمَة من جَمِيع جهاتها وَهِي أَربع الْمصدر والماضي والمستقبل وَالْأَمر للمخاطب»[2].

---

(١) تفسير أبي السعود (٦/ ٢٧٣).

(٢) أسرار التكرار، الكرماني (ص: ٢٣٢).

٥٠- استيعاب التسبيح لكل الأزمنة أشار إلىٰ عدم خلو زمانٍ أو مكانٍ عن تسبيحه إلىٰ قيام الساعة.

٥١- وفيه أنَّ الحقَّ والهدىٰ قد يضعف ويقلُّ في بعض الأزمنة والأمكنة ولكنه لا يزول تمامًا.

٥٢- في ورود المصدر مرة واحدة ما يومئ إلىٰ أنَّ ثبوت مطلق الثناء لله تعالىٰ لا يحتاج إلىٰ تأكيد.

٥٣- ولما كان المصدر خاليًا من تحديد الزمان والإشارة للفاعل كالفعل، فربما يدلُّ الابتداء بالمصدر إلىٰ أمور:

أوّلها: وجود الله تعالىٰ السابق لكل المخلوقات التي تسبحه.

ثانيها: أولية الله تعالىٰ المطلقة غير المحددة بزمن فهو الأول الذي ليس قبله شيء.

ثالثها: أنَّ كل ما سوىٰ الله حادث ومخلوق، ولذلك كان تسبيحه لله تعالىٰ لاحقٌ للمصدر (سبَّح).

رابعها: أن تنزيه الله تعالىٰ عن كل ما لا يليق به من الأسماء والصفات والأفعال واقع بدون فاعلين.

خامسها: أنَّ القرآن ليس مخلوقًا، لأنه لو كان كذلك لما خلا من آيةٍ تشيرُ إلىٰ تسبيحه كبقية المخلوقات.

٥٤- وممّا يعين علىٰ هذه الهداية أنَّ القرآن لو كان مخلوقًا لكان من المخلوقات المميزة بالعظمة والقدر كالسماوات والأرض، وجميعها ثبت تسبيحها لله في القرآن تسميةً لا ضمنًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٥٥- ورود صيغة الماضي (حم) ثلاثة مرات والمضارع (نى) مرتان تشير إلىٰ أنَّ التسبيح الواقع من الخلق قبل بعثة النبي ﷺ؛ أكثر من التسبيح الذي سيقع بعد بعثته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٥٦- وبالمقارنة بزيادة عدد المخلوقات التي تسبح فإنَّ ذلك يشير إلىٰ أنَّ عُمْرَ زمان الدنيا قبل البعثة أكثر من عمر الدنيا بعدها، وهو ما يؤكد قرب الساعة، ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

٥٧- أمّا ورود صيغة الأمر مرّة واحدة مقارنة بالماضي (سبَّح)، والمضارع (يُسبِّح) تشير إلىٰ أنَّ التكليف بالتسبيح من العبد لن يساوي تسبيح الخلق لله في الماضي والحاضر والمستقبل، لا كمًا ولا كيفًا.

٥٨- وكذلك فيها إشارة إلىٰ خِفَّة التكليف.

٥٩- وفيها أنَّ التذكير بالعبادة وأهلها الماضين مما يُقوِّي العزم ويعين علىٰ التزامها، ويؤكد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ في الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

٦٠- ارتباط الحمد والتسبيح بأفعال مرئية ومدركة بالحواس يُفْهَم منه أنَّ كمال الله تعالىٰ وتنزيهه عن النقص قد يثبت بجهة العقل والحس مع ثبوته بالنص، ويعضِّده قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾ [آل عمران]، فتفكُّرهم أثمر تنزيهًا للحق سبحانه وتعالىٰ.

٦١- مجيء عدد سور الثناء سبعة والتنزيه سبعة قد يشير إلىٰ خصوصية العدد سبعة الذي ارتبطت به كثيرٌ من مخلوقات الله تعالىٰ وسننه الكونية[(١)].

٦٢- ومما يعضِّد ذلك أنَّ لكل رقم قانون لمعرفة الأعداد التي تقبل القسمة عليه إلا العدد سبعة، فقد أعجز علماء الحساب في الماضي والحاضر.

٦٣- قد يعضده أيضًا أن استهلال القرآن بسورة الفاتحة المشتملة علىٰ سبع آيات، وأن خواتيم سورة البقرة قد اشتملت علىٰ سبع أدعية، وآية الكرسي اشتملت علىٰ اثبات سبعة صفات لله تعالىٰ.

٦٤- في الثناء بالنفي تستخلص القاعدة: إذا أمر الله بشيء كان ناهيًا عن ضده، وإذا نهىٰ عن شيء كان آمرًا بضده، وإذا أثنىٰ علىٰ نفسه أو علىٰ أوليائه وأصفيائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتًا للكمال[(٢)].

٦٥- التغاير بين فاتحة الإسراء والكهف فيه لطيفة، ذكرها السُّيوطي نقلًا، فقال: سئل الشيخ الإمام تاج الدين السُّبكي عن الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد؟ فأجاب بأنّ التسبيح حيث جاء مقدَّم علىٰ التحميد، نحو: فسبِّح بحمد ربك. سبحان الله والحمد لله. وأجاب ابن الزَّمْلكاني بأنّ (سورة سبحان) لمّا اشتملت علىٰ الإسراء الذي كذّب

---

(١) تأملت وتفكرت في الرقم سبعة فوجدت أنه اختص بأكثر من عشرين موقع، منها: عدد السماوات، عدد الأراضين، آيات سورة الفاتحة (وهي السورة الوحيدة التي ثبت عدد آياتها بالنص) أيام الأسبوع، السور الطوال، الطواف بالبيت، السعي بين الصفا والمروة، عدد الجمار، عدد سور القرآن مائة زايد ضعف السبعة، رُزق النبي ﷺ سبعة أبناء، عدة أهل الكهف، فترة المجاعة في قصة يوسف... وغيرها كثير.

(٢) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي (ص: ٩٢)

المشركون به النبيَّ ﷺ، وتكذيبه تكذيبٌ لله تعالىٰ؛ أتىٰ بسبحان لتنزيه الله عما نُسب إليه ولنَبِيِّه من الكذب. وسورة الكهف لمّا أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحي؛ نزلت مبيّنَةً أنَّ الله تعالىٰ لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين، بل أتمّ عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد علىٰ هذه النعمة(١).

٦٦- عدم ورود فاتحةً تأمر بحمد الله تعالىٰ كما وردت في التَّسبيح (سبِّح) قد يشير إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ لا يحمد كما ينبغي حتىٰ لو بالنّظر إلىٰ مفردات أفعاله التي ارتبطت بها فواتح الحمد، وقد يُعضِّد ذلك ذكرُ النبيِّ ﷺ في قيام الليل: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٢). وفي رواية: «**لَا أَبْلُغُ مِدْحَتَكَ**». وفي رواية: «**لَا أُحْصِي نِعَمَكَ وَلَا ثَنَاءً عَلَيْكَ**»(٣).

٦٧- وفي ذلك ما يشير إلىٰ أنَّ باب التنزيه أخف من باب الثناء، وأنَّ العبد بمقدوره تنزيه الرب عن كل ما لا يليق به من اسمٍ أو وصفٍ، لأنَّ التنزيه نفيٌ فله حدٌّ.

٦٨- فيها إشارة إلىٰ: أنّ العبد لا يحصي ثناءً علىٰ ربه، ولو اجتهد في الثناء طول عمره(٤).

٦٩- الابتداء في فواتح الثناء بالتحميد والانتهاء بالأمر بالتسبيح فيه إشارة إلىٰ أنَّ الأول يقود إلىٰ الثاني.

٧٠- وفيها أنَّ الأوامر في القرآن العظيم قد تقدمتها عوامل تعين عليها، وتسهِّل علىٰ العبد الاستجابة.

٧١- وفي ذلك ما يؤكد أنَّ الالتزام بكلِّ الدين أسهل من أخذ بعضه وترك بعضه، وإن بدا غير ذلك، ولذلك كان الأمر الرباني للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وكان الإنكار علىٰ من فعَّل بعض الكتاب وترك بعضه في قوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة: ٨٥].

٧٢- فيها الإعجاز التشريعي في القرآن والذي يبدو في ترتيب الأوامر علىٰ مقدماتها، وأمر المكلف بالعبادة بعد تهيئته وإكمال استعداده، مما يبرهن علىٰ يسر الدين.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٩)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٦٣)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: ما يقال في السجود والركوع (١/ ٣٥٩، حديث رقم: ٤٨٦).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (١/ ١١٤، حديث رقم: ١٢٥)، مصنف عبد الرزاق (٢/ ١٥٧، حديث رقم: ٢٨٨٣).

(٤) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد (ص: ٢٣٤).

٧٣- لما كان الثناء علىٰ الله تعالىٰ بذكر المحامد يورث محبة الخالق سبحانه؛ دلَّ تقدم الحمد مطلقًا، وعلىٰ صيغ التنزيه علىٰ أهمية عبادة الحب وأنها حقًا تمثل الرأس للجسد.

٧٤- ودلّ كذلك علىٰ أنَّ الحب مقدَّم علىٰ الخوف والرجاء[١].

٧٥- الاستفتاح بالحروف هو أشهر أنواع الفواتح وأكثرها ورودًا، وقد بحثها العلماء من وجوهٍ مختلفة ومعاني متعددة. وقبل ذكر هداياتها يَحْسن بي أن أُوضِّح بعض الأمور المهمة المتعلقة بها:

أولًا: أنه لم يثبت عن الرسول ﷺ حديث صحيح مرفوع في معنىٰ هذه الأحرف. ومن ثم فإن القول في تفسيرها لا سند له من الكتاب أو السنة الصحيحة بالنص.

ثانيًا: أن افتتاح الكلام بالأحرف الهجائية المقطعة أسلوب لم يكن معروفًا عند العرب ولم يألفوه من قبل وإنما كان أسلوبًا جديدًا؛ ولذا فلن نجد لها شاهدًا من كلام العرب.

ثالثًا: أنه إذا لم يكن تفسير هذه الأحرف قد ورد في الكتاب ولا في السنة، وليس له شاهد في لغة العرب؛ فإن الأقوال فيها محض تخرصات، لا يصح أبدًا أن يَجْزِم أحدٌ بمعناها[٢].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازمًا بأن ذلك هو ما أراده الله عز وجل فقد غلط أقبح الغلط، وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط، فإنَّه إن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعًا إلىٰ لغة العرب وعلومها فهو كَذبٌ بحت، فإن العرب لم يتكلموا بشيء من

---

(١) الْمُؤمن يخَاف الله ويرجوه وَيُحِبهُ، ولكن الحب أهم الثلاثة لأنه يندرج الخوف والرجاء فيه، ولا يتضمن أحدهما المحبة، والقلب في سيره إلىٰ الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتىٰ سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتىٰ قطع الرأس مات الطائر، ومتىٰ فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، فلا بد من اجتماع الثلاثة مع تصدر المحبة، فمن عبد الله بالحب وَحده فَهُوَ زنديق وَمن عبد الله بالخوف وَحده فَهُوَ حروري وَمن عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجيء وَمن عَبده بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمن موحد وَذَلِكَ لِأَن الْحبّ الْمُجَرّد تتبسط النُّفُوس فِيهِ حَتَّىٰ تتسع فِي أهوائها إِذا لم يزعها وازع الخشية لله. ينظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (١/ ١١٢)، مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٥١)، التحفة العراقية، ابن القيم (ص: ٧٥).

(٢) لم يستطع أحد من العلماء الجزم بمعاني هذه الحروف ولذلك قيل فيها الكثير، ولمَّا كان حجم البحث لا يسمح باستقصائها؛ اقتصرت علىٰ أشهرها فقط، ولتبحث في مظانها (ينظر: تفسير الزمخشري (١/ ١) تفسير القرطبي (١/ ١٥٤)، معجم علوم القرآن، الجرمي (ص: ٢٠٦)، حقائق علمية قاطعة (ص: ١١٥).

ذلك، وإذا سمعه السامع منهم كان معدودًا عنده من الرطانة، ولا ينافي ذلك أنهم قد يقتصرون علىٰ حرفٍ أو حروفٍ من الكلمة التي يريدون النطق بها، فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن تقدَّمه ما يدلُّ عليه ويفيد معناه، بحيث لا يلتبس علىٰ سامعه»[(١)].

٧٦- أقوىٰ وأحوط ما ذُكِرَ في معناها أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

٧٧- وأشهر ما قيل في الحكمة من وراء الحروف المقطعة هي بيان إعجاز القرآن مع أنه من نفس حروف اللغة العربية التي يتحدث بها القوم[(٢)].

٧٨- وقد يتأكد ذلك من أن الكلمة في اللغة إما أن تكون اسمًا أو فعلًا أو حرف، والحرف ينقسم إلىٰ فعل مَبْنَىٰ وحرف معنىٰ، فجاءت الحروف المقطعة من حرف إشارة الىٰ حروف المباني وحروف المعاني، والحرفين إشارة إلىٰ الكلمات الثنائية التركيب، والثلاثية والرباعية والخماسية إشارة إلىٰ أمثالها من كلمات اللغة.

٧٩- وفي ذلك إمعانًا في التحدي، فكأنَّ الله تعالىٰ بتلك الحروف يشير إلىٰ المادة التي يتكون منها القرآن العظيم وهي الحروف، وإلىٰ المقادير والقوالب المطلوبة من هذ المادة وهي عدد الحروف في الكلمات.

٨٠- يفهم من ذلك أن من تحدَّىٰ علىٰ شيء وذكر مادته وكيفية تركيبها، ثم لم يستطع أحد أن يُركِّب مثل ذلك الشيء مع وجود مادته، يُفْهم من ذلك عظمة الشيء وموجده؛ وضعف المُتَحدَّىٰ وعجزه في نفس الوقت، وتلك من براعة القرآن، وعظمة المتحدث به سبحانه !!!

٨١- ربما قصد العلماء من الحروف المقطعة الإشارة الىٰ الإعجاز اللغوي فقط للقرآن، ولكن بالتتبع لموضوعات السور التي استفتحت بالحروف تبين لي أن الحروف تشير إلىٰ الإعجاز اللغوي، الغيبي، العلمي، والتشريعي.

٨٢- ورود الحروف المقطعة في المرتبة الثانية فيه أنَّ الإعجاز قد لا يحتاجه عامة الخلق للتصديق، بل يحتاجه من لم يَفِقْ بالثناء علىٰ الله تعالىٰ.

٨٣- وفيه أنَّ أصحاب الصفاء العقلي، والنقاء الروحي يستيقظون بدليل الحسِّ الذي يُثْبت وجود الله، أو بصفاته التي تَثْبُت بالعقل، أو بأفعاله ومخلوقاته التي تُرىٰ بالبصر أو البصيرة.

---

(١) فتح القدير، الشوكاني (١/ ٣٦)

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ٢٠٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٤)، تفسير الماوردي (١/ ٣٧١).

٨٤- وفيه أنَّ أصحاب هذه الأوصاف قلة بالنسبة لمن يحتاج للإعجاز لإعلان الإيمان والإذعان لرب العالمين، وقد يدعم هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، في مقابل قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف]، وقد يُلمح كون الحروف المقطعة هي أكثر الفواتح ورودًا، وأنها أكثر من ضعفي الثناء؛ إلىٰ صحة ذلك الاستنباط.

٨٥- كذلك يفهم من احتلال الحروف المقطعة للعدد الأكبر من فواتح سور القرآن، وتَوزُّعِها في العهدين المكي والمدني، وتواجدها في أول المصحف إلىٰ أواخره؛ يُفهم منه أنَّ الصبغة الطاغية والمستمرة للقرآن في جميع مراحل نزوله، وفي كافة أحوال الدعوة به، وفي كل ساعات تلاوته، وفي كل مدارج الصعود به لله تعالىٰ هي الإعجاز، وذلك لعمري هو الإعجاز المركب!!

٨٦- كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة[(١)]. وهذا أيضًا يؤكد الهداية السّابقة.

٨٧- إذا صنَّفنا سور القرآن بزمانِ أو مكانِ النزول إلىٰ مكية ومدنية نجد أنَّ الحروف المقطعة وجدت في كِلا الصنفين، وإذا صنفناها إلىٰ طوال ومئين ومثاني ومفصَّل نجد فاتحة الحروف في كلِّ صنفٍ منها، وإذا قسَّمنا سور القرآن علىٰ سبعة أحزاب كتحزيب النبي ﷺ[(٢)]، فلا يخلو حزب من وجود سُوَرٍ تبدأ بالحروف المقطعة!!

٨٨- وفي ذلك أيضًا إرماز إلىٰ تخلل إعجاز القرآن لكل أجزائه وعدم انفكاك هذه الخصيصة عنه.

٨٩- وفيه أهمية استصحاب تلك الحقيقة عن القرآن العظيم للتالي له دومًا ، وللداعي به وله أيًّا كان تصنيف المدعو، مؤمنًا أو كافرًا، قريبًا أو بعيدًا.

٩٠- فيها كذلك أهمية أن تكون الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالقرآن العظيم.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٦٠).

(٢) قال في (المغني): «يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، لِيَكُونَ لَهُ خَتْمَةٌ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ: كَانَ أَبِي يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ سَبْعَةٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُبُعًا، لَا يَتْرُكُهُ نَظَرًا. وَقَالَ حَنْبَلٌ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَخْتِمُ مِنْ الْجُمُعَةِ إلَى الْجُمُعَةِ. وَذَلِكَ لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يختم القرآن في سبعٍ». ينظر: المغني، ابن قدامة (٢/ ١٢٧).

٩١- وفيها تنبيه لمن يكثرون من الحكم والأمثال في الدعوة علىٰ حساب القرآن، فتخلو محاضراتهم وخطبهم إلا من آياتٍ بالعدد.

٩٢- ربما أنَّ وجود سور من الطوال تبدأ بالحروف يشير إلىٰ فضل الطوال علىٰ التوراة، ووجودها في المئين يشير إلىٰ فضله علىٰ الزبور، وحضورها في المثاني إلىٰ فضله علىٰ الإنجيل، ووجودها في المفصل يشير إلىٰ فضل وهيمنة القرآن علىٰ جميع الكتب السماوية، قد تُفْهم هذه الهداية من مجموع قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله ﷺ: «**أَعْطَيْت مَكَان التَّوْرَاة السَّبع الطوَال، وَأعْطيت مَكَان الزبُور المئين، وَأعْطيت مَكَان الْإِنْجِيل المثاني وفُضِّلتُ بالمفصَّل**»(١).

٩٣- وفي ذلك دليلٌ ضمنيٌّ علىٰ أنَّ أفضلية القرآن علىٰ الكتب السماوية السابقة ليست لأنها حُرِّفتْ وبُدِّلتْ؛ وإنما هي أفضلية قائمة حتىٰ في حال حفظها من التحريف.

٩٤- عدد أحرف الفواتح أربعة عشر حرفًا بعد حذف المكرر مجموعة في جملة: نصٌّ حكيمٌ له سر قاطع!

٩٥- ويمكن الاستئناس بالعبارة في مسألة اعجاز الحروف، وهو من التوفيق الرباني لمُركِّبها(٢).

٩٦- عدد هذه الحروف النورانية المقطعة يساوي نصف عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين من غير الألف.

٩٧- وهذا التنصيف قد يكون في حد ذاته صورة من صور الإعجاز، لأنه تُبْني عليه مناصفة الصفات والمخارج بين الحروف المقطعة وبقية الحروف بصورة في غاية الدقة والروعة.

٩٨- فيها نصف حروف الهمس العشرة المجموعة في: **"فحثه شخص سكت"**، وهي: ح- هـ- ص- س- ك.

٩٩- فيها نصف حروف الجهر، وحروف الجهر ما بقي بعد حروف الهمس لأنهما صفتان متضادتان وعددها ثمانية عشر حرفًا ونصفها تسعة أحرف موجودة هي: أ- ط- ي- ل- م- ن- ع- ق- ر.

---

(١) المتقي الهندي في كنز العمال، عن واثلة بن الأسقع (١/ ٥٧٢، حديث رقم: ٢٥٨١) وقال الألباني: «قلت: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمران القطان فهو حسن الحديث للخلاف المعروف فيه، وقد تابعه سعيد بن بشير عن قتادة به». انظر: الصحيحة: (١٤٨٠).

(٢) بحثت عنه في مظانه فلم أعثر عليه، أسأل الله العظيم أن يجزيه خيرًا، وعامة خُدّام القرآن العظيم.

١٠٠- فيها نصف حروف الشّدة: **"أجدك تطبق"**، ففيها أربعة منها، هي: أ- ك- ق- ط.

١٠١- فيها نصف حروف الرّخاوة، وحروف الرّخاوة: ما بقي بعد حروف الشّدة، وعددها عشرون حرفًا، ففيها عشرة أحرف منها، هي: ح- م- س- ع- ل- ي- ن- ص- ر- هـ.

١٠٢- حروف الإطباق أربعة هي: ص- ض- ط- ظ، ونصفها من الحروف النورانية: ص- ط.

١٠٣- عكس الإطباق: الانفتاح، أحرفه أربعة وعشرون حرفًا بعد حذف حروف الإطباق، ونصفها اثنا عشر حرفًا من الحروف النّورانية، هي: ح- ر- س- ع- ق- ك- ل- ن- هـ- ي- أ- م.

١٠٤- حروف الحلق ستَّة، هي: أ- هـ- ع- ح- غ- خ، نصفها في الفواتح هي: هـ- ح- ع.

١٠٥- الأحرف غير الحلقية اثنان وعشرون حرفًا، نصفها أحد عشر حرفًا نورانيًا، وهي: ن- ق- ص- ل- م- ي- س- ك- ط- ر- أ.

١٠٦- لم يجتمع في الحروف المقطعة حرفان متشابهان من حيث الكتابة، فاشتملت علىٰ نصف الحروف المتشابهة. فمنها (ن) وخارجها (ب)، منها (ص) وخارجها (ض)، منها (ح) وخارجها (خ) و(ج)، منها (ي) وخارجها (ت)، منها (ق) وخارجها (ف)، منها (ط) وخارجها (ظ)، منها (ع) وخارجها (غ)، منها (س) وخارجها (ش)، منها (ر) وخارجها (ز)!!!!

١٠٧- كلُّ هذ التقسيمات تؤكِّد أنَّ الحروف المقطعة في أوائل السور من أهم أهدافها التحدي والإعجاز.

١٠٨- وكل ذلك يهدي إلىٰ أهمية التدبر والتأمل في الحروف لاستنتاج المزيد من أسرارها.

١٠٩- رغم المحاولات لفهم معنىٰ الحروف المقطعة يبقي نوع من الخفاء دليلًا علىٰ التسليم والإيمان[١].

١١٠- كل القرآن الكريم مبني علىٰ الوصل في آخر كل آية وسورة، أما الحروف المقطعة فهي مبنيّة علىٰ الوقف بالسكون لكل حرف من هذه الحروف المقطَّعة[٢].

١١١- لم ترد كل هذه الأحرف المقطعة مجموعة في أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدي الصريح في أماكن[٣].

---

(١) التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص: ٤٤).

(٢) ينظر: العميد في علم التجويد (ص: ١٢٠)، هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري (١/ ٣٦٨).

(٣) المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة (ص: ١١٧).

١١٢- إتيان الحروف المقطعة علىٰ عدة صور وأشكال فيه أهمية التفنن في إظهار المعجزة. قال صاحب تحرير التحبير: «وإذا نظرت إلىٰ فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة علىٰ حصر معناه»[(١)].

١١٣- وفيها إثارة للعقول للبحث عن بعض علل الاختلاف، والوقوف علىٰ المناسبة بين كل فاتحة، ومضمون ومقصد السورة التي وردت فيها.

١١٤- وفيها تنبيه للدعاة والعلماء لأهمية استخدام الإعجاز في نشر الإسلام.

١١٥- وفيها تعضيد للقائلين بأهمية الدعوة في زمن الانفجار المعرفي والاكتشافات والتقدم العلمي بأهمية استصحاب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، بضوابطه[(٢)].

١١٦- وتشير إلىٰ الاختلاف بين القطع بمعناها وتَلَمُّس الحكمة من ورودها والفوائد التي يمكن أن تحقِّقها.

١١٧- فيها تدريب للعلماء وطلاب العلم من الإكثار من قول: "الله أعلم"، فإن من يفَسِّر القرآن لا محالة أن يقف عند الحروف وقفة صغار وافتقار لله العليم.

١١٨- تتصدَّر هذه الفواتح السور المكية، إلا سورتي البقرة وآل عمران، فهما مدنيتان وهذا يعني وجودها في سورٍ لاقت عنادًا ونكرانًا لمصدر القرآن، فهي تبيّن عدم قدرة الناس علىٰ تأليف كتاب مثله أو من مثله، وإن كان من جنس حروفهم، والسورتان: البقرة وآل عمران مشتملتان علىٰ مقاصد القرآن المكي في إقامة الحجج علىٰ حقيّة القرآن ودعوته[(٣)].

١١٩- يفيد ذلك أنَّ التركيز في الإعجاز يكون علىٰ الجانب الذي برع فيه المستهدَفين لإثبات عجزهم المتناهي.

١٢٠- لما كان القوم الذين عاصروا التنزيل هم أفصح وأبلغ البشر؛ أشار ذلك إلىٰ ضرورة التمكن من جوانب الإعجاز العلمي والتشريعي في هذا العصر.

١٢١- اختلف البصريون والكوفيون حول اعتبار هذه الحروف آيات أو عدم اعتبارها. فأما البصريون فلم يعدُّوا شيئًا منها آية وأما الكوفيون، فقد عدُّوا بعضها آيات، أما البعض

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع (ص: ١٧٢)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٣٣١)، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، جبريل (ص: ٥٩)

(٣) ينظر: القرآن الكريم والدراسات الأدبية، عتر(ص:٨٥)، جماليات المفردة القرآنية، ياسوف (ص: ٨٠)

الآخر فلم يعدوه من الآيات. وعندهم أن ما قالوه علم توقيفي لا مجال للقياس فيه[١].

وفي اعتبارها آيةً آيةٌ دالة علىٰ غموضها.

١٢٢- وفيها تتجلىٰ عظمة القرآن وعلو مقامه إذ كان الحرف الواحد فيه يمثل آية دالة علىٰ أحقيته وصدقه.

١٢٣- فيها ضبط للعقل وتحديد مساحة عمله، لوقوفه عاجزًا أمام حروف الفواتح، غير قادر علىٰ الجزم بمعناها.

قال ابن باديس: «ويكون عمله في كتاب الله هو التفهم والتدبر لآياته والتفطن لتنبيهاته ووجوه دلالاته واستثارة علومه من منطوقه ومفهومه، علىٰ ما دلت عليه لغة العرب في منظومها ومنثورها، وما جاء من التفاسير المأثورة وما نقل من فهوم الأئمة الموثوق بعلمهم وأمانتهم، المشهود لهم بذلك من أمثالهم، فإذا وقف أمام المتشابه رده إلىٰ المحكم، وإذا انتهىٰ إلىٰ فواتح السور ذكر عجزه فآمن بما لها من معنىٰ وقال: الله أعلم به»[٢].

١٢٤- وفي ذلك تأديبٌ للعقل، وصيانةٌ له من الغرور وحمايةٌ له من العجب، فأن استجلاء كل الحقائق واستحصال كل الفوائد قد يحسب العقل معه أنه محيط بالحقائق كلها، وأن مدركاتها يقينيات بأسرها، فيؤديه حسبانه الأول إلىٰ الفتنة بالمدركات، فيحسب أن لا شيء بعدها، فقد يخرج إلىٰ انكار خالقها، ويؤديه حسبانه الثاني إلىٰ الذهاب في ظنونه وأوهامه وفرضياته إلىٰ غايات لا نسب بين اليقين وبينها. فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حدًا يقف عنده وينتهي اليه، ليسلم من هذا الخطر[٣].

١٢٥- توزيع السور التي بدأت بالنداء بين الطوال والمئين والمثاني والمفصل قد يشير إلىٰ فوقية القرآن ونسخه لكل الكتب السابقة، والزيادة عليها وأنه يخاطب الناس عامة ويخص أهل الكتاب بمزيد اعتناء، ويعضد ذلك أنَّ النداء بـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ورد في القرآن العظيم اثنتي عشرة مرة.

١٢٦- ومن ذلك تُسْتَقَىٰ بعض الموجهات العامة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

١٢٧- ترتيب النداء بعد الثناء بصيغة التحميد والحروف المقطعة فيه أنَّ تنبيه الناس لمخاطبتهم بالتكليف يجب أن يكون في ثالث المنازل بعد تعظيم الله في قلب المكلف بالثناء، وإثبات أحقية الدين بالإعجاز.

---

(١) ينظر: البيان في عد آي القرآن، الداني (ص: ٦٠).

(٢) آثار ابن باديس (٢/ ٥٦).

(٣) آثار ابن باديس (٢/ ٥٦).

١٢٨- وفي ذلك ما يعين المخاطب علىٰ الامتثال لله تعالىٰ في الاستجابة في الأمر والنهي.

١٢٩- وقد يشير إلىٰ ذلك استهلال الرسول ﷺ لخطبه بالثناء علىٰ الله تعالىٰ.

١٣٠- وفيها العلاقة بين تعظيم الله تعالىٰ في القلب وبين الاستجابة له وجودًا وعدمًا.

١٣١- يفهم منها أنَّ العلاقة طردية بين التعظيم والاستجابة، ولعل ذلك ما يفسر قوة وسرعة وعمق استجابة الصحابة عليهم رضوان الله تعالىٰ؛ مقارنةً باستجابة المتأخِّرين.

١٣٢- فيها تعليم للخطباء والدعاة لأهمية تكثير الثناء علىٰ الله تعالىٰ وبيان أحقية الدين بين يدي خطبهم.

١٣٣- النداء الأول في النساء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، يفهم منه عموم وعالمية رسالة الإسلام، ويعضده قوله تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

١٣٤- فيها أنَّ أول أنواع النداءات في الفواتح ما كان غرضه التنبيه[(١)].

١٣٥- النداء الثاني في المائدة بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، يفيد أنَّ بعد النداء الأول "البلاغ العام" سينقسم الناس إلىٰ مؤمن مستجيب، وكافر معرض.

١٣٦- وفيها أهمية تخصيص الخطاب للمخاطبين دون غيرهم، ليكون أوقع وأعمق.

١٣٧- فيها أهمية الخطاب بالأوصاف والنداءات المحببة إلىٰ النفس، فإنه أرعي للسمع، وأطيب للنفس.

١٣٨- فيها أنَّ المنهج العاطفي في الدعوة هو المنهج الأساس والأكثر استعمالًا.

١٣٩- فيها تعاقب النداءات للناس أولًا، ثم للمؤمنين ثانيًا، ثم للناس ثالثًا في الحج ثم للمؤمنين رابعًا في الممتحنة؛ ويفهم من ذلك ضرورة تخلل الدعوة العامة للتربية الخاصة.

١٤٠- ويتفرع عنه الإشارة إلىٰ أهمية تأهيل وتدريب دعاة وعلماء يُحْسِنون دعوة كل فريق بحسب ما يناسبه، ويعضده إرسال النبي ﷺ للدعاة خارج الجزيرة العربية مع التوازي مع التربية الخاصة للمؤمنين داخل المدينة[(٢)].

---

(١) النداء في القرآن الكريم علىٰ ست أنواع، للمدح، الذم، التنبيه، اضافة، نسبة، تسمية، وهناك من جعلها سبعًا بإضافة نداء التعنيف. (ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الهرري ١/ ٢٢٧).

(٢) كُتِبَ في مقال بعنوان: "الإسلام قادم رغم السدود والقيود" ما نصه: «المسلمون يمثلون خمس سكان العالم وعددهم بليون نسمة وأكثر، ولكن عدد المسلمين يتزايد بمعدل ٨٢ ألف نسمة يوميًا نتيجة دخول كثيرين للإسلام ونتيجة للإنجاب المستمر لدىٰ المسلمات وإذا استمر هذا المعدل فإن الإسلام سيصبح الدين الأول في العالم عام ٢٠٥٨م». (ينظر: مجلة البيان، افتتاحية العدد: ١١٦).

١٤١- وفيها أهمية الموازنة بين دعوة غير المسلمين، وتربية المسلمين وفق المنهج القرآني، وهذه هداية مهمة جدًا يجب ألا تغفل عنها الجماعات والمنظمات والمؤسسات الدعوية.

١٤٢- وفيها تأكيد علىٰ أهمية تخصيص الخطط، الكادر البشري، والميزانيات لتحقيق تلك الدعوة العامة لغير المسلمين، فالنداء في أول السور كفاتحة يختلف عن النداء في ثنايا السور في إرمازه إلىٰ المعاني والدلالات.

١٤٣- في تكرر النداء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يفهم أهمية تكرار الدعوة وعرض الإسلام لمراتٍ متعاقبة وعدم اليأس من الاستجابة، لتجدد البشر وربما تجدد المواقف المُتوقَعة منهم، وتبدُّل حال قلوبهم.

١٤٤- فيها مناداة المؤمنين أحيانًا بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تنبيهًا وتذكيرًا بالحال الأول قبل الاهتداء إلىٰ الإيمان.

١٤٥- وفي ذلك أهمية رؤية هداية الله تعالىٰ وتفضُّله علىٰ العبد، وهو صمام أمان من العجب أو المنِّ علىٰ الله.

١٤٦- وفيها تُذكير للمؤمن بحالته الأولىٰ قبل الاهتداء فلا يتعالىٰ علىٰ الضُّلال، بل يرفق بهم، ويحرص علىٰ دعوتهم للهدىٰ، ويؤيده قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٤].

١٤٧- ترتيب النداء للأمة عامة وللمؤمنين بنسبة ١ للناس، ١ للمؤمنين، ١ للناس، ٢ للمؤمنين، ما قد يشير إلىٰ انتشار الإسلام وزيادة عدد المسلمين بالنسبة للصدر الأول، وهذا هو الواقع والزيادة حاصلة[1].

١٤٨- ترتيب النداء بعد الثناء والإعجاز فيه أنَّ الفواتح قبله كفيلة بتقريب البعيد، وإيقاظ النائم، فمن لم يؤثر فيه ذلك فلِعلةٍ في قلبه، لا لتقصير القرآن في جذب القلوب.

١٤٩- فيها أنَّ النداء إما أن يعقبه دعوة للدخول في الطريق كما في نداء سورة النساء والحج، وإما أن يعقبه تفاصيل السير في الطريق كما في المائدة والممتحنة والحجرات.

---

(١) ومن ذلك بعثه ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب أسفل ثنية المرة، وحمزة بن عبد المطلب إلىٰ ساحل البحر من ناحية العيص. وكان هذان أول بعوثه، وأول راية عقدها. ثم توالت البعثات فبعث سعد بن أبىٰ وقاص إلىٰ الخرار. وعبد الله بن جحش إلىٰ نخلة. وبَعْث مُعَاذًا إلىٰ الْيَمَنِ. ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٩٠)، جوامع السيرة، ابن حزم الظاهري (ص: ١٦).

١٥٠- قد يُلمح من النداء في سورة النساء ثم الحج أنَّ النظر لخلق الإنسان من النفس الواحدة ثم تكاثرها علىٰ الأرض أجلب للإيمان، وأدعىٰ لتحقيق التقوىٰ من التفكر في أهوال القيامة.

١٥١- وإن كان التفكر الأول يقود لتعظيم الله تعالىٰ، والثاني يثمر الخوف منه سبحانه؛ فُهِمَ من ذلك أنَّ التعظيم أولىٰ وأوعىٰ للمطلوب للعبد من الخوف.

١٥٢- وفي ذلك الترتيب أيضًا أن المذكور في الأول قد لا يحقِّق المطلوب من كل المخاطبين، فعرج لهم علىٰ التخويف بأهوال القيامة.

١٥٣- وفي ذلك تنبيه علىٰ أهمية استيعاب الخطاب في نظمه ومضمونه واسلوبه لكل فئات وتصنيفات البشر، قربًا وبعدًا عن الحق، أو رقةً وصلابة لقبول الحق.

١٥٤- وفيه أيضًا تأكيدًا علىٰ أهمية التأهيل المتكامل للدعاة وكل العاملين في حقل الدعوة.

١٥٥- النداء للمؤمنين استفتح به ثلاثة سور، بينما النداء العام للناس استفتحت به سورتان، ولمَّا كان المؤمنون يدخلون في النداء العام للناس والنداء الخاص لهم كانت النسبة في النداءات للفريقين هي نسبة ٢: ٥.

١٥٦- وفي ذلك ما يشير إلىٰ أنَّ القرآن إجمالًا خطابًا عامًا، ثم بعد تفرق الناس إلىٰ مؤمن وكافر يصير خاصًا بالمؤمنين، ولذلك كان عدد النداءات بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في كل القرآن في تسعٍ وثمانين موضعًا، والنداء بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في عشرين موضعًا. وقد يدعم هذه الهداية أن أول نداء في القرآن الكريم هو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

١٥٧- وقد يُلْمَح في هذه الهداية دليلًا إشاريًا للقائلين بأنَّ الكفار غير مكلفين بتفاصيل الشريعة[1].

١٥٨- تفيد فاتحة النداء للمؤمنين في سورة الحجرات رتبة حق النبي ﷺ، وأنه يلي حق الله تعالىٰ مباشرة في العظمة والرتبة، ويُعضِّد ذلك أن أول نداء للمؤمنين في القرآن العظيم

---

(١) لا خلاف بين العلماء في أن الكفار مخاطبون بأصول العقيدة: من الإيمان بالله تعالىٰ وكتبه ورسله واليوم الأخر، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج]، وقال النبي ﷺ: «**وبعثت إلىٰ الناس كافة**». حديث صحيح رواه البخاري ومسلم. لا خلاف أيضًا أنهم مخاطبون بالعقوبات الشرعية، فتقام عليهم إذا وجدت أسبابها، وكذلك المعاملات المالية لأنها أمور دنيوية. وإنما الخلاف في مخاطبتهم بتفاصيل الشريعة.

ينظر: روضة الناظر، ابن قدامة (١/ ١٦٠)، تخريج الفروع علىٰ الأصول، الزنجاني (ص:٩٨)، الموافقات، الشاطبي (٤/ ١٦١)، صحيح البخاري (حديث: ٤٣٨).

هو قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقد تلا النداء الأول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]، الذي قُدِّم فيه حقّ الله تعالىٰ.

١٥٩- ويتجلَّىٰ في ذلك سمو مقام نبينا محمد ﷺ عند ربه.

١٦٠- مناصفة سور النداء بين خمسة للأمة وخمسة للرسول ﷺ فيه بيان مزية وشرف للنبي ﷺ في تخصيصه بالنداء بعدد النداء لأمته.

١٦١- تلفت فاتحة الممتحنة إلىٰ خطورة موالاة الكافرين.

١٦٢- فاتحة الخبر تَلَتْ الحروف المقطعة في عدد سورها إذ بلغت ثلاث وعشرين سورة، وربما كان في ذلك إشارة إلىٰ كثرة الأخبار في القرآن الكريم.

١٦٣- وربما فيه ما يلمح إلىٰ أنَّ الأخبار لما كانت مرادة لذاتها ولغيرها كانت أكثر من ضعف النداء.

١٦٤- فيها التنوع الكبير بين الأخبار الواردة في فواتح السور.

١٦٥- وفيها إلماح إلىٰ أهمية بعض الأخبار، وأهمية إبرازها بعد توثيقها.

١٦٦- تنوع الأخبار في القرآن الكريم وتعدد موضوعاتها يبرهن علىٰ أنَّه أصدق وأكبر أشمل مرجع تاريخي، أرَّخ ووثَّق لكل الأحداث المهمة في تاريخ البشرية.

١٦٧- ترشد إلىٰ أهمية التعمق في الأخبار الواردة في الفواتح لاستخلاص الفوائد والعبر.

١٦٨- أول فاتحة خبر في الأنفال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، ربما تشير إلىٰ لفت الأنظار لمعالجة الواقع الداخلي قبل التطلع لمعرفة الأخبار الخارجية، وقد يعضِّد ذلك تأخُّر فاتحة الروم بعد عدة أخبار مختلفة.

١٦٩- وفي ذلك تنبيه لمن يغلِّب جانب الإحاطة بالواقع والإلمام بالتفاصيل علىٰ طلب العلم أو إصلاح الذات بحجة أهمية الفقه بالواقع.

١٧٠- قد يُلْمَح في فاتحة الخبر وترتيبها في الكثرة تشوف النفوس لمعرفة الأخبار.

١٧١- تنوع الفعل في الإتيان بالخبر ما يدلُّ علىٰ احتواء القرآن علىٰ أخبار الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا ما دلَّ عليه حديث ضعفه المحدثون، ولكن معناه صحيح من خلال هدايات الفواتح، وفيه: «**فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٨)، والدارمي (٢/ ٤٣٥)، وضعَّفه الألباني. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٣/ ٨٨٣، حديث رقم: ٦٣٩٣).

١٧٢- تنوع الأخبار من ناحية المضمون والحقائق التي ذكرها قد يشير إلىٰ إتساع قاعدة المعلومات عند المسلم حيث يجمع بين كل خبر مفيد ينفعه في أمرِ دينه أو دنياه.

١٧٣- كذلك موضوعات الأخبار قد تحدد قوائم الأخبار المهمة التي يجب أن يعتني بها المسلم.

١٧٤- أكثر موضوع خدمته فاتحة الخبر هو القيامة، إذ كان موضوع سبعة سور، هي : النحل، الأنبياء، القمر، الحاقة، المعارج، القيامة، القارعة.

١٧٥- في ذلك ما يشير إلىٰ أهمية الاهتمام بمعرفة أهوال القيامة وأحداثها، وما أعده الله فيها للعصاة والطائعين.

١٧٦- أول فاتحة بالخبر كانت في الأنفال عن سؤال المؤمنين: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وآخر فاتحة خبر في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]، فكان في المقابلة بين النعيمين والنعمتين مقابلة لطيفة ربما تتضمن معاني، منها:

- مقابلة نعمة الآخرة الدائمة بنعيم الدنيا الزائلة.
- الإشارة إلىٰ أنَّ ما بين النعمتين تحقيق الأمر بعد الخبر الأول (فاتقوا الله).
- الإشارة إلىٰ مقام الرسول ﷺ، حيث سأله غيره، وكان العطاء له في الحالين.!!
- وفيه أهمية الزهد في متاع الدنيا، والتعلق بنعيم الآخرة.
- فيها أنَّ عمر الحياة كأنَّه زمن الختمة، أو المسافة التي يصل فيها القارئ من الأنفال للكوثر.
- فيها تسمية كل سورة بالمعطىٰ فيها والمُخْبَر به.

المبحث الثاني: الهدايات المستنبطة من الفواتح من (القسم إلى التعليل)

١- شمل القسم أغلب أجناس الكائنات، من الملائكة، البهيم، الأفلاك، الزمن، النبات، التربة والرياح، وكان المقسم عليه في أغلب المواضع أشياء غيبية، والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم علىٰ ثبوتها فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها[١].

٢- توزُّع القسم علىٰ سبع مجموعات فيه برهانٌ جديدٌ علىٰ خصوصية العدد سبعة.

٣- القسم بالوقت أخذا النصيب الأكثر من المقسم به، فكانت فيه إشارة إلىٰ أهمية الوقت والتنبيه علىٰ سرعة مضيه، وفي ذلك تضمين لأهمية تعميره بالعمل الصالح.

٤- شاطر القسم بالأفلاك القسم بالزمن من حيث عدد المرات، وقد يومئ ذلك إلىٰ علاقة الوقت المباشرة بحركة الأفلاك، وفيه إعجاز علمي بديع.

٥- اختلاف تسمية الأفلاك في القسم بالشمس، النجم، الطارق، والبروج: فيه إشارة إلىٰ تباين الأفلاك في الوصف التابع للاسم، وهي حقيقية علمية ما كان لمحمد ﷺ الاطلاع عليها قبل أربعة عشر قرنًا، فكان في ذلك تأكيد لمصدر القرآن العظيم.

٦- شمل القسم بالوقت جميع أجزاء اليوم: الليل: الفجر، الضحىٰ، العصر.

٧- فيها تنبيه لأهمية التفكر في المقسم به للوقوف علىٰ بعض أسراره.

٨- فيها دقة تناسب المقسم به وجواب القسم ومقصد السورة بصورة مدهشة ومحيرة[٢].

٩- في ورود القسم بعد الخبر ما يشير إلىٰ وظيفة القسم في تأكيد وتوثيق الأخبار للمخاطبين الذين تم نداءهم قبل الخبر.!!!

١٠- وفي تأخر القسم بعد نداء المؤمنين ما يشير إلىٰ أنَّ المؤمن قد يحتاج إلىٰ الإقسام له، لحمله علىٰ التصديق ولتأكيد المخبر به، وللفت نظره للمقسم به.

١١- ترتيب القسم في المرتبة الثالثة من حيث عدد السور التي استفتحت به يشير إلىٰ كثرة المكذبين ومن يحتاجون لتأكيد الأخبار من جهة النظر للمُخَاطَب بالقسم.

١٢- وتشير إلىٰ أهمية الأخبار الواردة بالنظر للمُقسم عليه.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (ص: ٢).

(٢) ينظر التبيان عند حديثه عن القسم في قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد]، (ص: ٣٦).

١٣- وتدل علىٰ كثرة المخلوقات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ بالنظر إلىٰ المقسم به.

١٤- الفرق بين فاتحة الخبر والقسم من حيث العدد يشير إلىٰ أنه ليس كل الأخبار تحتاج إلىٰ تأكيدها وتوثيقها بالقسم، حيث كان الخبر في ثلاثٍ وعشرين سورة والقسم في خمسة عشر سورة.

١٥- تأخُّر القسم عن الخبر يُلْمَح فيه تنبيه العبد إلىٰ تخلية ما يلقيه من الخبر ابتداءً عن القسم، فإن احتاج للقسم لوجود الداعي أقسم، ويدعم هذه الهداية الأمر بحفظ القسم في قوله: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

١٦- القسم بـ (الكتاب المسطور)، وبـ (القلم) في سورتي الطور والقلم، يشير إلىٰ أهمية طلب العلم، وأهمية الكتابة، وحفظ المكتوب.

١٧- القسم بـ: (العاديات) فيه فضل الخيل وتميُّزها علىٰ بقية الحيوان البهيم لتفردها بالقسم، ويؤيد هذه الهداية قول النبي ﷺ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

١٨- القسم بالتين يشير إلىٰ مزية التين علىٰ بقية النبات لتفرده من بينها بالقسم.

١٩- وقوع الشرط بعد الخبر والقسم يحمل تأنيبًا وتعنيفًا وتحذيرًا للمنكر، وربما يؤكِّد ذلك أنَّ أول سورة استفتحت بالشرط هي سورة الواقعة!

٢٠- السور التي استفتحت بالشرط سبعة، خمسة منها كان موضوعها أهوال القيامة، وهي: الواقعة، الانشقاق، التكوير، الانفطار، والزلزلة وفي ذلك تأكيد علىٰ هول يوم القيامة، وعلىٰ أهمية التذكير به.

٢١- وتتسق هذه الهداية مع كثرة الأخبار عن القيامة في فاتحة الخبر.

٢٢- وفيهما دلالة علىٰ تناسق وتعاضد الفواتح في الإيماء إلىٰ دلالاتها وتحقيق أهدافها.

٢٣- وجود العدد سبعة في فاتحة الشرط أيضًا فيه تأكيد آخر علىٰ خصوصية العدد سبعة.

٢٤- استفتاح سورة المنافقون بالشرط في ثاني موضوعات سور الشرط، يشير إلىٰ خطر النفاق والمنافقين، ويبين مسلكًا مهما من مسالكهم في الخداع والمرواغة.

٢٥- الاستفتاح في سورة النصر هو ثالث موضوعات فاتحة الشرط، فكان فيها ما يشير إلىٰ قيمة النصر وينبه علىٰ فقه التعامل مع الانتصار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برواية عروة بن الجعد، كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب: الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ (٤/ ٢٨، حديث رقم: ٢٨٥٠).

٢٦- استفتاح سورة النصر بالشرط ما يؤكد أنَّ النصر مرتبط بشروط وأسباب، وغير ملازم لوجود أشخاص وأعيان، ويُلمح تأكيد ذلك في أنَّ فيها نعي النبيِّ ﷺ.

٢٧- في وقوع سورة النصر في خاتمة سور الشرط؛ وقد حملت نعي النبي ﷺ ما يومئ إلىٰ دقة ترتيب سور القرآن، ووجود التناسب بينها بصورة تؤكد أن ترتيب السور توقيفي.

٢٨- تأخر فاتحة الأمر لتحتل المرتبة السابعة يُفهم منه أهمية تأخُّر الأوامر بعد تجلية القلوب بـ"الثناء"، وتعجيز العقول بـ"الحروف"، وتنبيه المخاطبين بـ"النداء"، والتوطئة بـ"الخبر" وتأكيده بـ"القسم"، والترهيب من عدم التصديق بـ"الشرط".

٢٩- ويعضده التركيز علىٰ العقيدة في العهد المكي، وتأخير تفاصيل الشريعة إلىٰ العهد المدني.

٣٠- فيها أن تأخر الأمر بعد تلك المقدمات كفيل بحمل الناس علىٰ الاستجابة إلا من أبىٰ.

٣١- وهي فائدة قيمة يستفيد منها الدعاة والآباء والمعلمين.

٣٢- وفي ذلك أيضًا تأكيد لأهمية القلب الذي يَصِحُّ ويقْوَىٰ بالعقيدة.

٣٣- تشابهت كل فواتح الأمر بالفعل: (قل) وانفردت فاتحة العلق بـ: (اقرأ).

٣٤- كثرة (قل) تشير إلىٰ كثرة تلقين النبي ﷺ.

٣٥- وفي ذلك تبيه علىٰ أنه المبلغ عن ربه.

٣٦- وتفيد نفي نسبة القرآن إليه وتؤكد علىٰ أنه كلام ربه.

٣٧- تفيد (قل) في سورة الجنّ أنّ النبيّ ﷺ لا يعلم الغيب إلا أن يطلعه عليه ربه سبحانه.

٣٨- وتفيد (قل) في سورة الكافرون إلىٰ أهمية تلقين الحجة، وخاصة عند المناظرات والمجادلات، وقد يمثل ذلك في الحاضر أهمية الاطلاع الكامل والشامل علىٰ موضوع المناظرة، والوقوف علىٰ قول الشرع فيه.

٣٩- وتشير إلىٰ أن منبر المناظرة أخطر وأقوىٰ أثرًا من منبر المحاضرة، ولذلك يحتاج المنبري لهذه المهمة إلىٰ حشد الأدلة وترسيخ الموقف وتفنيد الشبهات.

٤٠- انفراد سورة العلق بالفعل (اقرأ) لكونها أول ما نزل من القرآن، فكان فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلىٰ علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته وصفاته، من صفات ذات وصفة فعل، وفي هذا الإشارة إلىٰ أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]. ولهذا قيل: إنها جديرة أن تُسمىٰ عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة[1].

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (١/ ٦٠).

٤١- ويستفاد من ذلك أيضًا وجود التناسب في ترتيب الفواتح باعتبار ترتيب المصحف، أو باعتبار ترتيب النزول!

٤٢- وهذه هداية في غاية الدقة والروعة، تبرهن علىٰ أنَّ أي مستوىٰ لغوي وفكري في الوجود لا يمكن أن ينافس الكتاب العزيز أو يجاريه.

٤٣- الاستفهام احتل المرتبة الثامنة في الفواتح في إشارة إلىٰ أنه متأخر في الرتبة عن كل الأنواع السابقة.

٤٤- قد يلمح في تأخر الاستفهام أن العبد لا يسأل إلا بعد سبعة أشياء عبَّرت عنها الفواتح السابقة.

٤٥- عدد السور التي استفتحت بالاستفهام ستة سور في إيماء واضح إلىٰ ضرورة تقليل الاستفهام في مقابل الأخبار والأقسام.

٤٦- كأنَّ في ذلك إشارة تنبيه للمكلف بأنه ليس كل شيئ يُسْتَفهم عنه.

٤٧- وقد يدعم هذا الاستنتاج أنَّ أدوات الاستفهام المستخدمة ثلاثة فقط: (هل، عمَّ، الهمزة)، ويدعمه كذلك أنَّ بعض الاستفهام يراد به الخبر.

٤٨- احتل الدعاء المركز قبل الأخير في الترتيب، وربما يشير ذلك إلىٰ تأخير اليأس من المستهدفين، والدعاء عليهم، ويعضده موقف نوح عليه السلام كما في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ [نوح]. فإنَّ الآيات واصلت في سرد اجتهاد نوح مع قومه بكل الوسائل وشتىٰ الطرق بالليل والنهار، في السر والعلن ثم بعد ذلك دعا عليهم فقال ربه عنه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ثمَّ بيَّن الدّافع من الدّعاء علىٰ قومه، فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح]، ثم ذيَّله بالدُّعاء للمؤمنين فقال الله عنه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾ [نوح: ٢٨].

فانظر إلىٰ تآلف المعاني، وتشابه المرامي.!! حقًا هو منهاج حياة ودستور أمة خالدة.!!

٤٩- الدعاء في جميع مواضعه بالويل والتباب، وكله من الله تعالىٰ، ولعل في ذلك تنبيه إلىٰ عدم الإكثار من الدعاء علىٰ الكافر وترك الحكم والأمر فيه لله.

٥٠- الفاتحة الوحيدة التي لم تتكرر هي التعليل، فكانت الأخيرة ترتيبًا وقلةً، وربما يشير ذلك إلىٰ أنَّ الشريعة وتفاصيل الدين ليست قائمة علىٰ تعليل وتبرير كل الأحكام.

٥١- وفيها تأديب للمؤمن لعدم ايقاف الاستجابة علىٰ معرفة علة الحكم ومقصد الأمر.

٥٢- وفيها أنَّ العقل قد لا يستوعب كل المقاصد الخفية من وراء الأوامر والنواهي، وقد يتبدَّىٰ له بعضها، وقد يتفاوت الناس فيها.

٥٣- وفيها أنَّ طلب التعليل يجب أن يتأخر، فقد تظهر العلة من خلال ما أومأت له الفواتح السابقة.

٥٤- الموضوع الوحيد الذي استفتح له بالتعليل هو حادثة الفيل، وكانت العلة إيلاف قريش، فهدت إلىٰ عظمة المنة علىٰ قريش بتأمينهم في أوطانهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

٥٥- وأشار الأمر بعبادة رب البيت بعد التعليل إلىٰ أهمية معالجة كل العقبات وتذليل كل الصعوبات التي تحول بين العبد وبين تحقيقه للعبادة.

٥٦- التعقيب علىٰ التعليل بالحاجات الأساسية لحياة الإنسان فيها مشروعية طلبها وتأمينها لأنها وسيلة لعبادة الله علىٰ الأرض.

٥٧- فيها وعدٌ خفيٌ بتكفُّل الله تعالىٰ بالرزق، ودعوة صريحة لتفريغ العبد قلبه للعبادة، وبذلك تحمل معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

٥٨- اشتمل جزء عمَّ علىٰ كل أنواع الفواتح إلا الحروف المقطعة والنداء، فهو أكثر الأجزاء إثراءً بالفواتح.

٥٩- وانفرد عن بقية الأجزاء بوجود فاتحتي الدعاء والتعليل، ولا توجد في غيره.

٦٠- وربما يناسب ذلك أنَّ جله مكي، كان يخاطب قوم لدُّوا في خصومة الدعوة.

٦١- وقد يقوِّي ذلك أهمية الابتداء في التفسير والتدبر بجز عمَّ.

٦٢- ربما كان خلو الجزء الأخير من الحروف المقطعة فيه إشارة إلىٰ أنَّ القارئ إذا وصل إلىٰ خاتمة المصحف لا يحتاج إلىٰ ما يؤكد له علىٰ إعجاز القرآن بالحروف.

٦٣- وربما لأنَّ جزء عمَّ غني بآيات العقيدة والخلق والمعاد وأهواله وتفاصيله أكثر من غيره من بقية الأجزاء ففُرِّغ مما يمكن أن يجذب العقل للتفكر فيه غير هذه الأشياء لأهميتها.

المبحث الثالث: أثر هدايات الفواتح في تعظيم الله تعالى

من خلال ما ذُكِر من هدايات لبعض الفواتح، يظهر جليًا للمتدبر في كتاب الله تعالىٰ أنَّ هدايات الفواتح لها صلة وثيقة، وعلاقة وطيدة بقضية تعظيم الله تعالىٰ، وذلك من خلال النظر في الفواتح باعتبارها كلام الله تعالىٰ، فبلوغها ذلك المبلغ من قوة الدلالات وكثافة المضامين والإرشادات؛ لا يدع مجالًا للشك بأنَّ المتكلم بها قد وصل إلىٰ منتهىٰ العظمة والمجد.

وخاصة الاستفتاح بالحروف المقطعة، فإنه لا يُتصور بمن يأتي بمثل هذا التنصيف الدقيق للحروف، والإبداع في الإتيان بها علىٰ وجهٍ لم تألفه العرب، ولم تسمع به العجم؛ لا يتصور إلا ربٍ لا يُدرك بالعقول، ولا تحيط به الأوهام، ولا تتصور حدود كماله وجلاله الأبصار ولا البصائر، كان وسيظل حقيقًا أن تألهه القلوب، وتقشعر بذكره الجلود، وتطمئن الأفئدة كما كان منزهًا في كل الأزمنة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر]، وإنه لقمة الشرف للمؤمن أنَّ يكون عبدًا مملوكًا لهذا الرَّبّ الكبير العظيم المتعال[1].

---

(١) الهداية الىٰ بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٠٩).

الخـــاتمـــة

في خاتمة هذا البحث أشكر الله تعالىٰ علىٰ ما منَّ عليَّ به ووفقني إليه من جمع واستنباط لهدايات الفواتح، وأسأله تعالىٰ القبول، وأن يجعل هذا البحث نقطة انطلاق كبرىٰ لإفراد هدايات الفواتح والاعتناء بها. ثم أورد أهم النتائج والتوصيات.

أولًا- النتائج:

١- احتوت فواتح سور القرآن علىٰ عددٍ كبيرٍ من الهدايات المتنوعة.
٢- أكثر الهدايات المرتبطة بالإعجاز تركَّزت علىٰ فاتحة الحروف المقطعة.
٣- الإعجاز والهدايات ترتبط بتعدد الفواتح، وبترتيبها، وبعدد السور التي يستفتح بها كل نوع.
٤- هدايات الفواتح أشارت إلىٰ أن ترتيب السور توقيفي وبه العديد من وجوه الإعجاز.
٥- فواتح السور أتت علىٰ غير مألوف العرب، فكانت من إبداعات القرآن الكريم.
٦- التحدي بالفواتح عمومًا وبالحروف المقطعة علىٰ وجه الخصوص ما زال قائمًا وسيستمر إلىٰ قيام الساعة.
٧- فواتح سور القرآن أفضل ما يستفيد منه الشاعر والكاتب في التدرب علىٰ حسن الاستفتاح وبراعته.

ثانيًا- التوصيات:

١- أوصي بإعادة البحث عن هدايات الفواتح في رسالة أكبر أشمل وأعمق.
٢- أوصي بالوقوف علىٰ فواتح السور وهداياتها عند تفسير سور القرآن لما فيها من تغذية إيمانية عالية للقلوب، وتعميق لفهم القرآن العظيم.
٣- أوصي بتحويل هدايات الفواتح إلىٰ برامج عملية تطبيقية، تعين في تربية الذات والغير، وتحسن من أداء العاملين في حقل الدعوة من الإداريين والخطباء.

وأخيرًا؛ أشكر كل من تسبب في كتابة هذا البحث، وأسهم في أن يرىٰ النور.

وصلِ اللهم وسلم علىٰ نبينا وحبيبنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين،،

فهرس المصادر والمراجع

- **أولًا: القرآن الكريم**
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١ (عام١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م).
- الأدب المفرد بالتعليقات: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ).
- حققه وقابله علىٰ أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمىٰ البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.
- البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، الناشر: دار الجيل، ط١ ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).
- البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) المحقق: غانم، قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث- الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

- التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير "تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، ط١: ١٩٨٤ هـ.
- تخريج الفروع علىٰ الأصول: محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، أبو المناقب شهاب الدين الزَّنْجاني (ت: ٦٥٦هـ)، المحقق: د. محمد أديب صالح، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط بدون.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز – المملكة العربية السعودية.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخىٰ (ت: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث- بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ.

- الجامع الكبير – سنن الترمذي: محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١: ١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار-بيروت، ط٣ ٢٠٠٤م.
- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان/ بيروت، ط١ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، بدون ط.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت:١٤٢٠هـ) دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.
- الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت، ط-
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- العميد في علم التجويد: محمود بن علي بسّة المصري (ت: بعد ١٣٦٧ هـ)، المحقق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: دار العقيدة – الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: محمد السيد جبريل، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١ - ١٤١٤ هـ.
- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.
- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت:١٧٠ هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ ١٤٠٧هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعىٰ).
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- التيسير في أصول واتجاهات التفسير: عماد علي عبد السميع (معاصر) ، الناشر: دار الإيمان- الإسكندرية، ط١: ٢٠٠٦م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقىٰ (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- المستدرك علىٰ الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد١٢٩ - السنة ٣٧- ١٤٢٥هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، ط١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: أحمد أبو شوفة، الكتب الوطنية- ليبيا، ط: ٢٠٠٣م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
- معجم علوم القرآن: إبراهيم محمد الجرمي، الناشر: دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- الموافقات: إبراهيم بن موسىٰ اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلىٰ العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط١ - ١٩٩٦م.
- هداية القاري إلىٰ تجويد كلام الباري: عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (ت: ١٤٠٩هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: تعريف فواتح السور وأنواعها وعدد سور كل نوع

المبحث الأول: تعريف الفواتح والسور في اللغة والاصطلاح ٢

تمهيد ٢

الفواتح في اللغة ٣

تعريف السورة ٣

فواتح السور في الاصطلاح ٤

المبحث الثاني: أنواع الفواتح وترتيبها وعدد سور كل نوع ٥

الفصل الثاني: هدايات فواتح السور وأثرها في تعظيم الله تعالىٰ

المبحث الأول: الهدايات المستنبطة من فاتحة الثناء الحروف، النداء، الخبر ١٠

المبحث الثاني: الهدايات المستنبطة من الفواتح القسم إلىٰ التعليل ٣١

المبحث الثالث: أثر فواتح الهدايات في تعظيم الله تعالىٰ ٣٦

الخاتمة: النتائج – التوصيات ٣٧

فهرس المصادر ٣٨

فهرس الموضوعات ٤٣